

مَصابيح العلم 9



نَشْرَةٌ عِلميَّةٌ دَعَويَّةٌ تُعْنَى بِالتُّرَاث والمَخْطُوط والسِّيَر والتَّارِيخ | العدد التَّاسع - رجب ١٤٤١هـ / فيفري ٢٠٢٠م

- شُكْرُ العِلْمِ: العَمَلُ والتَّعْلِيم
- الدَّعوَةُ إلى إِحْيَاءِ السُّنَّة وَإِمَاتَة البِدْعَة / عبد العزيز بن الشَّيخ الهاشمي
- مُسَاجَلَاتُ محمَّد العِيد آل خليفة
- جَوابٌ لِابنِ الصَّائغ القَيرَوَانِي

الجامع الكبير-تلمسان

الفَهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

❋ إنَّ الحمد لله نَحمدُه ونَسْتَعِينُه ونَستَغْفِرُه، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنفسِنا ومِن سَيِّئات أعمالنا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِل فلَا هَادِيَ له، وأَشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النِّساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أمَّا بعد: فإنَّ خيرَ الكلام كلام الله تعالى، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحمَّد ﷺ، وشرَّ الأُمُور مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ مُحدثةٍ بِدعة، وكُلَّ بِدعةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضَلَالَةٍ في النَّار.



* الافتتاحيّة:

"شُكْرُ العِلْمِ: العمل والتَّعلِيم"

مِن أكبرِ مِنَنِ الله تعالى على عبدٍ مِن عباده؛ أن يَمُنَّ عليهِ ويُنعِمَ بِالعِلم والمعرفة، وفي سِياق الِامتنان بهذه المِنَّة الكبرى؛ يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾[النمل:١٥]. قال أهل التَّفسير: «عِلمًا بالدِّينِ والحُكْمِ وغيرِهما»[تفسير القرطبي (١٣/١٦٣-١٦٤)]، وقد سَمَّى الله هذا العِلمَ فضلًا كما في الآية الأخرى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾[سبأ:١٠][تفسير القرطبي (١٤/٢٥٤)]. وهذه النِّعمةُ والمِنَّةُ وهذا الفَضْلُ والعَطَاءُ يَستَوجِبُ الشُّكرَ لِلمُنعِمِ المُتفضِّل، وهُو الأَدَب الَّذي امتَدَحَهُ اللهُ في كتابِهِ: ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٥﴾[النمل:١٥]. وَكما في الآيةِ: «دَليلٌ على أَنَّ نِعمةَ العِلمِ مِن أَجَلِّ النِّعَم وأَجْزَلِ القِسَم، أَنَّ مَن أُوتِيَهُ فقد أُوتِيَ فَضلًا على كثيرٍ مِن عبادِ اللهِ المؤمنين»[تفسير القرطبي (١٤/٢٥٤)] ـ فيها أيضًا: دليلٌ على أَنَّ نِعمةَ العِلم كغَيرِها مِن النِّعَم يَنبغي أن تُشكَر، والشُّكرُ: أن تقول: «الحَمْدُ لله» كما أُثر عن ابن شهابٍ الزُّهري [شُعب الإيمان (٤١٦١)]، وهذا شُكرُ العلمِ بِالقول اللِّسَاني. وشُكرُ العلمِ أيضًا يكون بالجوارح: تارةً بالعمَل؛ أُثر عن أبي محمَّدٍ سهلٍ التستري أَنَّهُ قال: «شُكْرُ العِلمِ العَمَلُ»[حلية الأولياء (١٠/١٩٤)]، وتارةً بِالتَّعليمِ؛ أُثر ذلك أيضًا عن سهل فيما رواه عنه أبو محمَّد الجريري: «شُكْرُ العِلمِ: التَّعليمُ»[شعب الإيمان للبيهقي (١٦٢٧)]. وشُكرُ العلمِ أيضًا يكون بالقَلب؛ بِأن يَعرفَ حقَّ النِّعمةِ فيهِ والفضيلة. وقد انتظَمَت هذه الأنواع الأربعة ـ في شُكر العلم ـ في الآية السَّالفةِ؛ استوعبَتها جميعَها؛ نوعٌ جاء مُصَرَّحًا بهِ وهو القول اللِّساني، والثَّلاثة الأُخَر مُقدَّرة؛ قد وَجبَ تقديرُها، قال الشَّرَفُ الطيبيُّ في لفتةٍ تفسيريَّةٍ رائعةٍ عند هذه الآية: «الوَاوُ» في قوله تعالى: ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، بَعدَ قَولِهِ:



﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾، تَستَدعِي مَعطوفًا عليهِ مُضمَرًا، هُوَ مُرتَّبٌ على ما قبلَهُ مُسَبَّبٌ عنهُ، فيَتِمُّ بهِ الغَرَض[فتوح الغيب (٢/ ٤٩٥) و(٥/ ١٨٤)]، قال: **لأَنَّ شُكرَ نِعمةِ العِلم يَقتضي أكثر مِن القَول اللِّساني** [فتوح الغيب (٥/ ١٨٤)]، وذلك المعطوفُ عليه ـ يقول الطيبي ـ: يُقَدَّر بحسَب ما يقتَضيه مُوجِب الشُّكر [فتوح الغيب (١١/ ٤٧٥)]؛ كأَنَّهُ قالَ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾، **فَعَمِلَا بِهِ، وعلَّمَاهُ النَّاسَ، وعَرَفَا حقَّ النِّعمةِ فِيهِ والفضيلة،** ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٥﴾[فتوح الغيب (٩/ ٤٦٢)].



* عَقِيدَةٌ وتَوحِيد:

الدَّعوَةُ إِلَى إِحْيَاءِ السُّنَّة وإِمَاتَة البِدْعَة

خِطَابُ الشَّيخ عبد العزيز بن الشَّيخ الهاشمي:

* قام وَفْدُ جمعيَّة العُلماء المُسلمين الجزائريِّين، المُتَكَوِّن مِن الرَّئيس الأستاذ عبد الحميد ابن باديس، العربي التّبسي، مُبارك المِيلِي، محمَّد خير الدِّين، حمزة بُوكُوشَة ـ بِزيارةٍ إلى وَطن «سُوف»، وألقَوا دُروسًا وخُطبًا وعَقَدُوا اجتماعاتٍ في تلك القُرَى، في كُلٍّ مِن «الواد»، «عميش»، «البهيمة»، «الزُّقْم»، «تكسبت»، «كُوينين»، «تَغْزُوت»، «قْمار»، «الرْقيبَة». وَفي «الوَاد» أَلْقَى الشَّيخ عبد العزيز بن الشَّيخ الهاشمي ـ شيخ الزَّوَايَا القَادِرِيَّة في شمال إفريقيا، والعُضو الإداري الجديد بِجمعيَّة العُلماء المُسلمين الجزائريِّين[1] ـ أَلْقَى خِطابًا بليغًا، بعد خِطابِ الشَّيخ الرَّئيس ابن باديس، كان ذلك في زاوِيَتِهِ الَّتي امتلأَت بِالجماهير، في يوم الأربعاء ٥ شوال ١٣٥٦هـ قبل صلاة المغرب، وهذا نصُّهُ:

السَّلام عليكم ورحمةُ الله وبركاته.

الحمدُ لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله، أَمَّا بعدُ:

إخواني وبَنِي وطني الأَعِزَّاء!

اشْكُرُوا اللهَ كثيرًا على أَن شَرَّفكُم بزيارةِ «جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين» لِبِلَادِكُم.

فبِمَجِيئها لِوطنكم هذا جاءَكُم الحَقّ وزَهَقَ الباطل، إِنَّ الباطل كان زَهُوقًا. جَاءَتكُم السَّعادة الدُّنيويَّة والأُخرويَّة، فقُومُوا مِن مَرَاقِدِكُم، فقَد طَالَ نَومُكُم، واسْتَمِعُوا دَعْوَةَ الدَّاعِي، وقَد أَمَّكُم إِلَى وطنكم.

جَاءَكُم النَّذِير فَلَا عُذرَ بعدَ اليوم، وحَلَّ فِيكُم العُلماء العَامِلُون وَرَثَةُ الأنبياء، فيَا سَعادتكم. فمَا عَلَيكُم إِلَّا أن تَسْمَعُوا بِجَمِيعِ بَدَنِكُم أَوامرَهُم ونَوَاهِيهِم الغالية،

---

١ – انظر ترجمتَهُ مُوسَّعةً في مقالي المُعنَون بِـ: «الشَّيخ عبد العزيز بن الشَّيخ الهاشمي؛ شيخ الطَّريقة القادريَّة في شمال إفريقيا يُعْلِن: دعوة العلماء السَّلفِيِّين حَقٌّ»؛ المنشور في مجلَّة «الإصلاح»، عدد (٢١)، (ص٣٨-٤٤).

ومَا أَوَامِرُهُم ونَوَاهِيهُم إِلَّا إِحْيَاء السُّنَّة وإِمَاتَة البِدْعَة.

فأَوَامِرُهُم هِيَ الأَوَامِرُ القُرآنيَّة، ونَوَاهِيهُم هِيَ ما نَهَت عَنهُ السُّنَّة المُحَمَّدِيَّة، فإن نَصرتُمُوهُم، فإِنَّمَا نَصرتُم القُرآن العظيم والسُّنَّة النَّبَوِيَّة، وإِن خَذَلتُمُوهُم خَذَلتُم مُحَمَّدًا خَيرَ البَرِيَّة، فهُم قَد بَلَّغُوا لَكُم الأَمَانَةَ بِالدَّعوةِ إِلى الدِّين الإسلاميِّ الصَّحيح.

اللَّهُمَّ فَاشْهَد، فَقَد دَعَت «جمعيَّة العلماء» إلى الدِّين، وسَعَت في تَبلِيغ سُنَّةِ سَيِّدِ المُرسَلِين.

فإِن أَحسَنْتُم أَحْسَنْتُم لأَنْفُسِكُم، وإِن أَسَأْتُم فعَلَيْهَا.

إِخواني وبَنِي وطني الأَعِزَّاء!

عَظُمَت فِينَا وَاللهِ أَكثَرَ مِن كُلِّ النَّاسِ مُصِيبَةُ الجَهْل والجُمُود، وتَجَسَّمَت فِينَا وَاللهِ مُصِيبَةُ الخُرَافَات والرُّكُود.

تَعَالَوا نُمَزِّقُ ثِيَابَ الجَهْلِ ونَهْجُمُ عَلَى دَاعِي الخُرَافَاتِ ونَكْسِرُ قُيُودَ الجُمُود.

فكَيْفَ بِكُم يَا إِخواني إذا جَاءَ اللهُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ، وجَاءَ بِمُحَمَّدٍ شَهِيدًا عَلَيكُم وعَلَى أَعمالِكُم يومَ القيامة.

ما يَكُونُ جَوابُكُم؟ أَتَقُولُونَ: لَم يُبَلِّغ لَنَا العُلَمَاء؟ لَا وَاللهِ بَلَّغُوا الشَّرِيعَةَ كَمَا يَنبَغِي وبِقَدْرِ الطَّاقَةِ، وبَيَّنُوا صِرَاطَ رَبِّنَا مُستَقِيمًا، وفَصَّلُوا الآياتِ لِقَومٍ يَذَّكَّرُون.

وَضَّحُوا لَكُم طَرِيقَ السُّنَّةِ، وأَلَحُّوا عَلَيكُم في الدَّعْوَةِ إِلَيهَا، وحَذَّرُوكُم مِن البِدَعِ والخُرَافَات، وطَالَمَا عَاتَبُوكُم عَلَيهَا.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾[الأنعام:١٥٣]

فأَعِينُوهُم رَحِمَكُمُ اللهُ على الدَّعوَةِ إلى الدِّينِ وإِصْلَاحِ الأُمَّةِ، وقَاوِمُوا الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ ويَبْغُونَهَا عِوَجًا، فقَد هَدَمُوا السُّنَّة.

و﴿ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ١٢٨﴾[الأعراف:١٢٨].

اعمَلُوا أَيُّهَا المسلمون لِدِينِكُم، ودُوسُوا بِأَقْدَامِكُم الخُرَافَات والتَّدجِيل، ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ

عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[التوبة:١٠٥].

اعْتَمِدُوا أَيُّهَا الإخوان على اللهِ، وتوَكَّلُوا على اللهِ، تَوَجَّهُوا إلى اللهِ، وَاسْتَغِيثُوا بِاللهِ، والْتَجِئُوا إلى الله.

واتْرُكُوا الاِعْتِمَادَ على المَخْلُوق وَالاِتِّكَال على المَخْلُوق والتَّوَجُّه إلى المَخْلُوق، فَإِنَّ المَخْلُوق لَا يَضُرُّ ولَا يَنْفَع، وإِن كان مِن أَشْرَفِ المَخلوقات، فقَد تَمَسَّكتُم بِالأَولياء وتَركتُم اللهَ، واسْتَعَنْتُم بِهِم وأَعْرَضتُم عَن اللهِ، والْتَجَأتُم إِلَيهِم في الشَّدَائِد ونَسِيتُمُ اللهَ.

أَلَم يُنَبِّهْكُمُ اللهُ لِهَذا الغَرَض بِقَولِهِ تعالى:

﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾[هود:٤٥]، حَيثُ سَأَلَ نُوحٌ وهُوَ رَسُولُ اللهِ النَّجَاةَ لاِبنِهِ فلَم يَقْبَل سُؤَالَهُ.

بَلْ أَجَابَهُ بِقَولِهِ: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾[هود:٤٦].

فلَم يَقِف أَمْرُهُ عِندَ رَدِّ مَطْلُوبِهِ، بَل عُوتِبَ مِن قِبَلِ اللهِ بِمَا ذَكَرْنَا مِن الآية، حَتَّى كان جَوَابُ الرَّسُولِ إلى الله: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾[هود:٤٧].

فتبَيَّن لَكُم أَيُّها الإخوان أَنَّ الرَّسُولَ نُوحًا لَم يَنْفَع ابْنَهُ، فكَيْفَ أَنتُم تَدَّعُونَ بَعدَ هَذَا أَنَّ الأَولِيَاءَ لَهُم قُدْرَةٌ عَلَى نَفْعِكُم، أَو أَنَّ اللهَ أَعطَاهُم التَّصَرُّفَات في هَذِهِ الدُّنيا، أَو أَنَّهُم يُصْدِرُونَ الأَحْكَامَ على النَّاسِ؛ يَسْلِبُونَ مِن هَذَا ويُعْطُونَ لِهَذا، ويَنْفَعُونَ أُنَاسًا ويَضُرُّونَ آخَرين.

واللهِ إِنَّ هذا مِنكُم لَضَلَالٌ مُبِينٌ وإِعْرَاضٌ عَن سُنَّةِ سَيِّدِ المُهْتَدِين.

اتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا الإخوان وأَحيُوا السُّنَّةَ، فقَد أَمَتُّمُوهَا، واقْتُلُوا البِدْعَةَ، فقَد أَحيَيْتُمُوهَا، وغَيَّرْتُم مَا بِأَنفُسِكُم فَغَيَّرَ اللهُ مَا بِكُم.

﴿ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[الرعد:١١].

كُلُّكُم تَعْلَمُون عِلْمَ اليَقِينِ أَنَّ اللهَ سَلَبَنَا نِعْمَتَهُ ومَا ذَلِكَ إِلَّا لأَنَّنَا سَلَبْنَا عَن أَنْفُسِنَا طَاعَتَهُ.

السَّعَادَةُ بَينَ أَيْدِيكُم وأَنْتُم مُعْرِضُون، والنَّجَاةُ مُحِيطَةٌ بِكُم وأَنْتُم عَن طَرِيقِ الخَيْرِ مُتَباعِدُون.

تَتْرُكُونَ اتِّبَاعَ دَعْوَةِ العُلَماء وتَتْبَعُون الدَّجَّالِين، تُعْرِضُونَ عَن أَمْرِ وَرَثَةِ الأَنْبِياء، وتَهَافَتُونَ تَهافُتَ الذُّبَابِ على الخُرَافِيِّين الاِنْتِفَاعِيِّين.

إِنَّ الأَمْرَ وَاضِحٌ وُضُوحَ الشَّمْسِ في رَابِعَةِ النَّهار، ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾[الرعد:١٦].

﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩﴾[الرعد:١٩].

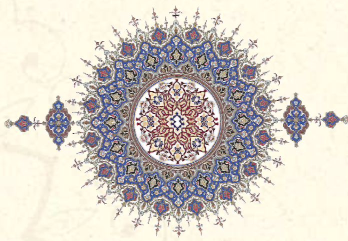
أَيُّها الإِخوان تَحَمَّلُوا واصْبِرُوا قَلِيلًا لأَجْلِ سَعَادَتِكُم، فَلَا سَعَادَةَ إِلَّا بِالتَّحَمُّل والصَّبْر، فَقَد كَانَ السَّلَف الصَّالِح يَتَحَمَّلُون المَوْتَ في سَبِيلِ ذَلِك.

أَمَّا أَنْتُم إِنَّما نَطْلُبُ مِنكُم أَن تَتَحَمَّلُوا شَيئًا قَلِيلًا في مالكم أو أَمْرًا يَسِيرًا في إِهَانَةِ ذَوَاتِكُم، فَإِن صَبَرتُم على ذلك بَلَغْتُم المَرَام، وإِلَّا فعَلَى الدُّنْيَا السَّلَام.

وعَلَيْكُم السَّلَام.

عبد العزيز بن الشَّيخ الهاشمي اهـ

[«البصائر»، السِّلسلة الأولى، عدد (٩٥)، (ص٤-٥)، الجمعة ١٢ ذي القعدة ١٣٥٦هـ، ١٤ جانفي ١٩٣٨م]





* الصُّورَة: «وَادِي سُوفْ» القديمة

مُفتٍ جزائِرِيٌّ يُنصِفُ الشَّيخَ الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمهما الله):

* قال العلَّامة عبد اللَّطيف بن عبد الرحمن آل الشَّيخ في «مصباح الظَّلام في الرَّدِّ على مَن كَذَب على الشَّيخ الإمام» (ص٥٣):

«وقد شهد أهل الفضل والعلم مِن أهلِ عَصرِهِ أنَّهُ - يعني: الشَّيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ - أَظْهَرَ تَوحِيدَ اللهِ وجَدَّدَ دِينَهُ، ودَعَا إلَيهِ... وذَكَرَ ابنُ غَنَّامٍ في «تاريخه» عن أكابِرِ أهلِ عَصرِهِ أَنَّهُم شَهِدُوا لَهُ بالعِلمِ والدِّينِ، وأَنَّهُ مِن جُملةِ المُجَدِّدِين لمَا جاءَ بِهِ سَيِّدُ المُرسَلين. وكذلِكَ أَهلُ مِصرَ والشَّامِ والعِراق والحَرَمَين؛ تَوَاتَرَ عن فُضلائِهِم وأَذكِيَائِهِم مَدْحُهُ والثَّناءُ عَلَيهِ والشَّهادةُ لَهُ أَنَّهُ جَدَّدَ هذا الدِّين، كَمَا قَالَ شَيخُنا محمد بن محمود الجزائريُّ رحمه الله تعالى»اهـ.

وقال (ص٢٨٧) - وهو يُقَرِّرُ مَسألةَ التَّوسُّل-: «قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[المائدة:٣٥]، والوَسيلَةُ: مَا شَرَعَهُ اللهُ ورَضِيَهُ مِنَ الأَعْمَالِ والأَقْوَالِ الصَّالِحَةِ. وأَيْنَ فِي شَرْعِهِ أَنْ يَسْأَلَ العَبْدُ رَبَّهُ بِعَبْدٍ مِن عَبِيدِه، مَخْلُوقٍ مِنْ خَلْقِهِ؟»، ثُمَّ قالَ: «أَعنِي: بَاب مَسأَلَةِ اللهِ بخَلْقِهِ، وقَد مَنَعَ ذلِكَ فُقهاءُ الحنفيَّة، كما حَدَّثَني بِهِ محمد بن محمود الجزائريُّ الحَنَفِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى بدَارِهِ بالإِسكندريَّة، وذَكَرَ أَنَّهُم قَالُوا: لاَ حَقَّ لمَخلُوقٍ عَلَى الخَالِقِ»اهـ.

* والشَّيخ عبد اللَّطيف الَّذي يَنقُلُ هذا، قد تَتَلْمَذَ على المُفتِي الجزائري «ابن العَنَّابِي» أَيَّامَ إِقَامَتِهِ بِمِصر وحَصَلَ لهُ اللِّقاءُ بِهِ سنةَ (١٢٤٧هـ)، كما أَنَّ والد الشَّيخ عبد اللَّطيف: الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن بن الشَّيخ محمد بن عبد الوهاب؛ الَّذي انتقل بعد تخريب

«الدَّرْعِيَّة» إلى مِصر، قد تَتَلْمَذَ هُوَ أيضًا على «المفتي الجزائري» – وكان اللِّقاء ما بين سنَتَي (١٢٣٧هـ) و(١٢٤١هـ)-، وقد قرأ عليهِ في كتاب «الأحكام الكبرى» لعبد الحق الإشبيلي البِجَائِي، يقول الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن آل الشَّيخ: **«لَقِيتُ بِمْصْرَ مُفتِي الجزائر محمد بن محمود الجزائري الحنَفِي الأَثَرِي، فَوَجَدتُهُ حَسَنَ العَقِيدَةِ، طَوِيلَ البَاعِ في العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ»**اهـ.



زيادةُ تعريفٍ بالمُفتِي الجزائري:

هو أبو عبد الله، محمد بن محمود بن محمد بن حسين بن محمد بن عيسى الأزميرلي الجزائري، الحَنَفي، الأَثَري، الشَّهير بابن العَنَّابِي، وُلد سنة ١١٨٩هـ -كما ذكر عن نفسِهِ- في الجزائر، ونشأ في أُسرةٍ عَريقةٍ في العلم والوجاهة؛ فأَبُوهُ «محمود» مِن علماء الحنَفِيَّة وأحد أعيان البلد (ت ١٢٣٦هـ)، وكان جَدُّهُ «محمد» قاضيَ الحنَفِيَّة بالجزائر (ت١٢٠٣هـ)، وأَبُوهُ «حسين» كان مفتي الحنَفِيَّة بها، ولقبُهُ شيخ الإسلام، وله تفسيرٌ (ت ١١٥٠هـ)، وأَخُوهُ لأُمِّهِ «مصطفى العَنَّابِي» كان مِن فقهاء الحنَفِيَّة كذلك، وله مُؤلَّفات (ت١١٣١هـ).

وُلِّي «ابن العَنَّابي» القضاء سنة ١٢٠٨هـ وهو دون العشرين، ولم تمضِ سنتان حتَّى عَزَلَ نفسه، وذلك أنَّ والي الجزائر «الدَّايْ حَسَن بَاشَا» كان أَلْزَمَهُ بأمرٍ مُخالفٍ للشَّرع، وهذا يدلُّ على وَرَعِهِ وقُوَّتِهِ في الحَقِّ، ثُمَّ عاد للقضاء بعد عِدَّة أشهر، واستمرَّ إلى سنة ١٢١٣هـ، وفيها تُوفِّي مفتي الجزائر، فتولَّى مكانه، وذلك إلى سنة ١٢٣٦هـ، مع وجود تقطُّعٍ يسير، ووظائف أخرى: كالسفارة للمغرب ونقابة الأشراف. وفي سنة ١٢٣٦ حَجَّ «ابن العنَّابي» مع والده برفقة محمد أفندي -أخي الدَّاي حسين باشا والي الجزائر-، وفي طريق العودة استقرَّ في الإسكندرية، ثُمَّ تَوَجَّهَ للقاهرة، وبَقِيَ يُدَرِّسُ ويُفِيد في الأَزهر نحو تسع سنوات، وأخذ عنه عددٌ مِن العلماء، منهم العلاَّمة عبد الرَّحمن بن حسن آل الشَّيخ، والشَّيخ إبراهيم السَّقا.

وفي أواخر سنة ١٢٤٤هـ أرسل له حسين باشا والي الجزائر سفينةً خاصَّةً يَطلُبُهُ لِلمجيء، فذهب إليه، وفي طريقه مرَّ بتونس، وأخذ عنه بعض علمائها، ووصل إلى الجزائر أوائل سنة ١٢٤٥هـ، وفيها قدَّمَهُ الوالي، وقَلَّدَه الإفتاء من جديد.

وبُعَيدَ رُجوعه إلى الجزائر غَزَا الفرنسيُّون البلاد، فأقام «ابن العنَّابي» في منزله مُظهِرًا المسالمة، مع تعدُّد إنكاره على الحاكم الفرنسي «الجنرال كْلُوزِيلْ»، ولكنَّهُ كان يتواصل مع العربان خُفيَةً ويُحرِّضُهُم على الجهاد وطَرْدِ المستعمر، فلمَّا بلغ المُحْتَلَّ ذلك هاجم الجنودُ مَنزلَهُ، ولمَّا استشعر هُوَ الهجوم رمى بالمكاتبات والأوراق في بيت الخلاء، ففتَّشُوا المَنزل ولم يَحصلوا على شيءٍ، فكَفُّوا عنه، ولكن كانوا مُتَرَبِّصِين بِهِ، ويُصَرِّحُون بِخَطَرِهِ عليهم وتأثيره في البلاد وتحريضه للأهالي، وقاموا باستدراجه في الكلام - بإرسال مَن يَتَجَسَّسُ عليهِ- حول مَقدِرَتِهِ على تَسَلُّم زِمَام الحُكم وتنظيمِ جيشٍ كبيرٍ يَبلغ ثلاثين ألفًا، فسُجن، وحصلت منهم الإهانةُ له ولأُسرَتِهِ، وأمر الجنرال الفرنسي «كْلُوزِيلْ» بِنَفْيِهِ فَوراً، ولم يُمهله وقتًا كافيًا لِتَرتيب أموره، فاضطرَّ للرَّحيل والعودة إلى الإسكندرية.

ولمَّا عاد «ابن العنَّابي» إلى الإسكندرية كان مُفتِيها الشَّيخ خليل السعران قد تُوفِّي، فقام «محمَّد علي باشا» بتَعيينِهِ مُفتيًا للحنَفيَّة فيها، وهُناك أخذ العلماء عنه مِن أهل الإسكندرية ومِن خارجها، مثل الشَّيخ عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحمن آل الشَّيخ الَّذي زارَهُ سنة ١٢٤٧هـ، وكذا محمد القاوقجي.

بقي المترجم في الإفتاء حتَّى سنة وفاته؛ تُوُفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ربيع الآخِر سنة ١٢٦٧هـ، عن ثمانٍ وسبعين سنةً.

* قال عبد الحميد بك في «تاريخه» (١٩٠):

«وكان رحمه الله تعالى إمامًا فاضلًا، عارفًا بالعبادات والأَحكام في المذاهب الأربعة على اختلافها، واختلاف أقوالها، والرَّاجح منها، والضَّعيف فيها، وعالمًا في باقي المنقول والمعقول، والسِّيَاسَات العموميَّة والخُصوصيَّة الخارجيَّة والداخليَّة، ولهُ إنشاءاتٌ وشِعرٌ»اهـ [ملخَّصًا مِن الترجمة الوافية الَّتي أعدَّها الباحث: محمد زياد التكلة (جزاه الله خيرًا)].



* الصُّورَة: أَحَد مساجد «الإسكندريَّة»

* سَبِيلُ السُّنَّة:

يا مَعشَرَ المالكيَّة! .. هذا دُستُور السلفِيِّين، كما يُقرِّرُه شَيخُ المَالكيَّة: الشَّيخُ خليلٌ

لا يزالُ كثيرٌ مِن بني قومِنا ومِن غيرهم يَلْهَجُ بتردادِ أنَّنا مالكيَّةٌ، وأنَّهُم لا يبتغُونَ بغيرِ مذهبِ مالكٍ بَدَلاً، ومنهُم مَن يقولُ: مَذهبُنا السُّنَّةُ ونحنُ لا نَخرُجُ عنها، ولا نقبلُ مذاهبَ البدعةِ، ومنها: مَذهبُ الوهَّابيَّة وأدعياءِ السَّلفيَّة!

ونَسِيَ هؤلاءِ أنَّهُم وهُم يُقيمُونَ على تلكَ البدع ويَأتُون تلك المُخالفات والمُنكَرات، -الَّتِي كان الإمامُ مالكٌ يمنعُ ويَنهَى عمَّا هو أقلُّ منها بكثيرٍ-، نسِيَ هؤلاءِ أنَّهُم يُسِيئُون إلى مالكٍ وإلى مذهبِهِ... وإلى هؤلاءِ أَنقُلُ كلامًا مَتِينًا وتقريرًا واضِحًا مُبينًا، قرَّرهُ شيخُ المالكيَّة الشَّيخُ خليلٌ رَحِمَهُ اللهُ، قالَ عنهُ هُو (قاعدةُ مالكٍ)، وقالَ عنهُ هُو (دُستُورٌ للمُتمسِّكِ بالسُّنَّةِ)، وتَقريرُ الشَّيخ خليل هذا، هُوَ الَّذِي يَلْهَجُ بِهِ السَّلفيُّونَ، وما فتِئُوا يُعلِنُونَ بِهِ في كُلِّ مُناسَبَةٍ، ويَرفعُونَهُ في وَجهِ كُلِّ مُخالفٍ للسُّنَّةِ... ولكنَّ قومَنَا لا يَعلمُون!

* أَقُولُ:

هذا نَقلٌ مُهِمٌّ عزيزٌ، مِن كتابِ «التَّوضيح شرح مختصر ابن الحاجب» لخليلٍ (١/٦٠٧)، تحقيق أبي الفضل الدمياطي، وفِيهِ يقول (١/٦٠٧-٦٠٨):

«يُستَحَبُّ «قِرَاءَةُ شَيءٍ مِن القُرآن عِندَهُ- أي: المُحتَضر-»، «وإنَّما هو قول ابن حبيب، وقال: إنَّما كرهَ مالكٌ ذلك استِنانًا، والكراهة لمالك في رواية أشهب، **واحتجَّ على ذلك: بأنَّ عَمَلَ السَّلَفِ اتَّصَلَ عَلَى تَرْكِ ذَلِكَ**. وذكر ذلك صاحبُ «البيان» وغيرُهُ، وصاحبُ «الرِّسالة»، فقال: «وأرخص بعض العلماء في القراءة عند رأسه بِسُورة ﴿يسٓ﴾، **وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عِندَ مَالِكٍ أَمْرًا مَعْمُولاً بِهِ**». انتهى. **وهذا هُوَ الظَّاهِرُ**، وفي حَمْلِ ابنِ حبيب نظر، إذْ

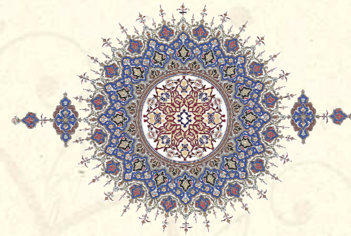
لَيْسَ لَنَا أَن نُرَتِّبَ الأَسبابَ والمُسَبَّبات، وما حَدَّهُ الشَّرْعُ وَقَفْنَا عِندَهُ، وما أَطْلَقَهُ ولَمْ يَخُصَّهُ بِسَبَبٍ أَطْلَقْنَاهُ، وما تَرَكَهُ السَّلَفُ تَرَكْنَاهُ، وإِنْ كَانَ أَصْلُهُ مَشْهُودًا لَهُ بِالمَشْرُوعِيَّة؛ كَهَذِهِ القِراءة. ولِلشَّرعِ حِكْمَةٌ في الفِعلِ والتَّرْكِ، وتَخْصِيصِ بَعضِ الأَحوالِ بالتَّرْكِ؛ كالنَّهيِ عن القِراءةِ في الرُّكُوعِ، وطَلَبِها في القِيَام.

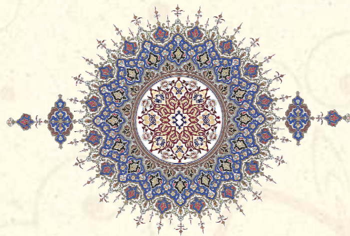
فتَمَسَّك بهذِهِ القَاعدةِ الجَلِيلة؛ فَإِنَّها دُستُورٌ للمُتَمَسِّكِ بالسُّنَّةِ، وقَاعِدَةُ مَالِكٍ.

واللهُ أعلم»اهـ.



* الصُّورَة: جامع «الأزهر»





* آثَارٌ سَلَفِيَّةٌ:

مِنْ وَحْيِ أَحادِيثِ الإِمَامِ ابْنِ بَادِيس

«تلمسان» يوم الخميس ٣ شَوَّال ١٣٥٥هـ = ١٧ ديسمبر ١٩٣٦م:

«في عَشِيَّة يومِ الوُصُول دَخَل جامعَ الشَّيخ إبراهيم المصمودي، فانْهَالَ عَلَيهِ النَّاسُ وحَلَّقُوا وازْدَحَمُوا وأَبوا إِلَّا أَن يَسمَعُوا مِنهُ كلمةً، فأَسْمَعَهُم كلماتٍ حَارَّةً مُلتَهِبَةً في آثار المساجد في الإسلام والغايَةَ مِن تَأسِيسِهَا؛ وقال لهم:

إِنَّ الحَيْلُولَةَ بَيْنَ العُلَمَاء وبَيْنَ المَسَاجِد الَّتِي هُمْ أَحَقُّ بِهَا وأَهْلُهَا، والَّتِي شَيَّدَهَا أَسْلَافُهم لِلدِّينِ والعِلْمِ، ولِيُؤَدِّي فِيهَا العُلَماءُ أَمَانَةَ الله – ظُلْمٌ فَاحِشٌ؛ وجَوْرٌ فَادِحٌ، واعْتِدَاءٌ شَنِيعٌ؛ وإِنَّ هَذَا النَّوْعَ مِن الظُّلْمِ يَفْضَحُ الظَّالِمَ ويَزِيدُ المَظْلُومَ تَمَسُّكًا بِحَقِّهِ، وَإِنَّنَا لَم نَزَلْ كَأَشَدِّ مَا نَكُونُ فِي التَّمَسُّكِ بِهَذَا الحَقِّ حَتَّى يَتِمَّ أَمْرُ الله فِينَا وفِي الظَّالِمِ، ولَوْ شِئْنَا أَن نَحْتَلَّ مَسَاجِدَنَا لَفعَلْنَا، ولكَانَ لَنَا مِنَ الأُمَّةِ وَلِيٌّ ونَصِيرٌ يُسْنِدُ وظَهِير، ولَكِنَّنَا صَبَرْنَا لِيَكُونَ أَبْلَغَ فِي الإِعْذَارِ وإِقَامَةِ الحُجَّةِ، عَلَى أَنَّنا – إِذْ نَطلُبُ حَقَّنَا – نَطْلُبُهُ بِالمُصَابَرَة لَا بِالمُنَاجَزَة، وإِنَّنَا نُمَادُّ خَصْمَنَا الحَبْلَ حَتَّى يُفْتَضَحَ وتَخُونُهُ شَوَاهِدُهُ، ولَا بُدَّ مِن يَومٍ قَرِيبٍ غَيرِ بَعِيدٍ يَعُودُ فِيهِ الحَقُّ إلى نِصَابِهِ، وتَعُودُ الدَّارُ إلى سَاكِنِهَا، ويُدَوِّي صَوْتُ الدِّينِ والعِلْم فِي هَذِهِ المَسَاجِد، وإِنَّ المُسْلِمَ الَّذِي يَرْتَفِعُ صَوْتُهُ فِي بُيُوتِ الله بِكَلِمَةِ: «اللهُ أَكْبَر» يَجِبُ عَلَيْهِ أَن يَعْتَقِدَ أَنَّ كُلَّ ظَالِمٍ وَإِنْ كَبُرَ فَـ«اللهُ أَكْبَرُ» ».

[«البصائر»، السلسلة الأولى، عدد (٥٢)، (ص١-٢)]

* أَدَبُ المَوْعِظَةِ:

جَوَابٌ لِابْنِ الصَّائِغ القَيْرَوَانِي:

*** تَرْجَمَةُ صاحِب الجَوَاب باختِصار:**

هُوَ الفقيه أبو محمَّد عبد الحميد بن محمَّد بن الصَّائغ القيرواني ـ يُعرَف بِابن الصَّائغ ـ، سكنَ «سُوسَة»، وأدركَ صغيرًا أبا بكر بن عبد الرَّحمن وأبا عمران الفاسي، وتفقَّهَ بابن العطَّار وأبي القاسم السُّيُورِي وأبي مُحرِز والبُوني وأبي إسحاق التُّونُسي. وعليهِ تَفقَّهَ أبو عبد الله المَازَرِي المهدوي وجماعةٌ. طلبَهُ صاحبُ «المَهْدِيَّة»: «تميم بن المُعِزِّ بن باديس» لِيَكون مُفتِي البلَد، فأَقامَ عندَهُ مُدَّةً، قال عياض: «**كان فقيهًا نبيلًا فَهِمًا فاضِلًا.. زَاهِدًا**». تُوُفِّي سنة (٤٨٦هـ)[٢].



*** الصُّورَة: أَحَدُ أَرْوِقَة جامع «القيروان»**

* قال أبو القاسم البُرْزُلِيُّ في ديوانه: «جامع الأَحكام»:

«**وَسُئِل أبو محمَّد عبد الحميد الصَّائغ:** كتبتُ إليهِ وقد خطَرَ لي الحَرَكة للحجاز، وأردتُ ركوب البحر لِتَعذُّر الطَّريق في البَرِّ، وقد بقيتُ في ذلك حيرَان، وأَدرَكَني مِنهُ خَوفٌ، فكيفَ ترى في ركوبِ البحر للحجِّ على ما جاءَ فيهِ مِن الآثار؟

فأَجاب عن ذلك:

٢- انظر: «ترتيب المدارك» للقاضي عياض ()، و«الدِّيباج» لابن فرحون (٢/ ٢٥)، و«تاريخ الإسلام» للذَّهبي (١٠/ ٥٦٢)، و«شجرة النور» لمخلوف (١/ ١٧٤).

نَفَعَكُمُ اللهُ بِاعْتِقَادِكُم، وجَعَل ثَوَابَكُم الجَنَّة، ولا خَيَّبَ لَكُم الرَّجَاء، وأَجَابَ لَكُم وفِيكُم الدُّعَاء، وأَعْطَاكُم ومَن أَرَدتُّمُوهُ خَيرَ الدُّنيا والآخِرَةِ بِلَا مِحْنَة.

رَغْبَتِي مِثْلُ مَا رَغِبْتُم، والدُّنْيَا قَرِيبٌ أَمْرُهَا، وحَقٌّ عَلَيْنَا أَن نَتَّبِعَ مَا قَالَ مَوْلَانَا جَلَّ وعَلَا: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾[البقرة:٢٨١].

الجِدَّ الجِدَّ!! فَقَدْ حفَزَ الأَمْرُ وَضَاقَ الوَقْتُ وطَمَّتِ الفِتْنَةُ وأَلِفَتْهَا القُلُوبُ.

وقَدْ قَالَ عُمَرُ ﵁: «اتَّقُوهَا بِالتَّقْوَى». مَا قَالَ بِالأَموال والرَّيْع والخَيْل. إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُون.

جَبَرَ اللهُ مُصَابَنَا فِي أنفُسنا، وبَصَّرَنَا عُيُوبَنَا، وشَغَلَنَا فِي مَا يَعْنِينَا، وجَنَّبَنَا الشَّهْوَةَ، وسَلَّمَنَا مِن الفِتَن مَا ظَهَرَ مِنْهَا ومَا بَطَن.

فعَلَيْكُم بِالنَّجَاة، فَالغَرِيقُ مَا لَهُ حِيلَةٌ إِلَّا الدُّعَاء. فقَد غَرِقْنَا فِي هذا الدَّهْر، مَا نَرَى إِلَّا المُدَاهَنَة، ولا تَرَى أَحَدًا يَنْصَحُك، ولَا يُوصِيكَ بِالحَقِّ والصَّبْر، فإِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُون.

فَمَا أَعظَمَ المُصِيبَة! الشُّحُّ هُوَ المُطَاع، والهَوَى هُوَ المُتَّبَع، وإِعْجَابُ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِه.

أَعُوذ بِاللهِ مِنَ الخِذْلَان ومِنَ الحَوْرِ بَعْدَ الكَوْر.

وصلَّى اللهُ على النَّبيِّ مُحمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّين وآلِهِ وسَلَّم.

ما ذَكَرْتَهُ مِن أَمْرِ الحَجِّ، فَاصْبِرْ حتَّى يَظْهَرَ لِلطَّرِيقِ والسَّفَرِ وَجْهٌ، واللهُ يَأْجُرُكَ على اعتِقَادِكُم ما أَمَّلْتَهُ، ويُعْظِمُ لَكَ الأَجْرَ، وبِاللهِ المُسْتَعَان»اهـ[٣].



٣- «فتاوى البُرزلي» (١/ ٥٩٨).

* سِيَرٌ وتَرَاجِم:

البشير الإبراهيمي وَصداقَاتٌ قديمةٌ

(٠٣):

الشَّيخ حَسُّونَة البَسْطِي الطَّرَابُلْسِي:

مَوْلِدُه:

ولد في «طرابلس الغرب (لِيبْيَا) عام ١٣٠٠هـ قبل الاحتلال الإيطالي للبلَد، مِن أُسرةٍ ميَسُورَةٍ[٤].

وقال الأستاذ الأنصاري: «وُلِد في أوائل القرن الهجري الحالي في طرابلس الغرب»[٥].

ابتداؤُهُ طلب العلم:

دَرَسَ في الكُتَّاب لحفظ القرآن الكريم، ثُمَّ التحَقَ بالمدارس التُّركيَّة، ولم يُواصِل تَعلِيمَهُ فيها فتَرَكَهَا، واشتغلَ مع وَالِدِهِ في إِدَارة أملاكِهِم[٦].

هِجرتُه مع عائلَتِهِ إلى المَشْرق:

عندما انسحبَ الأَتراك العثمانيُّون مِن «لِيبيَا» وخَرَجَت مِئَاتُ الأُسَر اللِّيبِيَّة مُهَاجِرَةً مِن وَطنِهَا إلى مُختلِف البلدان المجاورة، ركب حَسُّونَة باخرةً مُتوَجِّهَةً إلى «مَالْطَا» حيثُ وصلها واستقرَّ بها عدَّة أشهر، ثُمَّ ارتحل منها إلى «الإسكندريَّة» فَـ«القاهرة»، ومِن مِصر ركب القطار إلى «يَافَا» و«حَيْفَا» في فلسطين، وهِيَ حِينَذَاك تحت الإدارة العُثمانيَّة، ثُمَّ ركب سِكَّة حديد الحجاز مُتَوَجِّهًا إلى المدينة

٤- تَرجم لهُ الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين في كتابه: «هؤلاء عرفتُ». وعنه نقل صاحب كتاب «لِيبِيُّون في الجزيرة العَربيَّة»، وقد ذكر أنه لم يقِف على أحدٍ ترجَم لَه، ويُستدرَكُ عليه ما كتبهُ الأستاذ عبد القدوس الأنصاري في «تاريخ مدينة جُدَّة»، لأَنَّ المُتَرجَم قد استوطنها. وهذا ما لم يُشر إلِيهِ المترجِم، والله أعلم.

انظر: «لِيبِيُّون في الجزيرة العربيَّة» للدكتور محمد سعيد القشاط، (ص١٨٨)، ط. الدار العربية للموسوعات، ط٢/ ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.

٥- تاريخ مدينة جُدَّة لِعبد القدوس الأنصاري، (ص٢٨٤).

٦- انظر: «لِيبِيُّون في الجزيرة العربيَّة»، (ص١٨٨).

المُنوَّرة[٧].

أَمَّا الأنصاري فيَقول: «هاجر للحجاز منذُ حرب طرابلس».

ويقول: «أقام في المدينةِ سَنَتَينِ»[٨].

مِن مَشَايِخه في المسجد النَّبَوي:

لا شَكَّ أَن يَكُون حَسُّونَة قد جلسَ في حِلَق العِلم بِالمَسجد النَّبوي، وأَتَمَّ تَعليمَهُ هُناك، ومِن مشايخِهِ: الشَّيخ حمدان الونيسي القَسَنْطِينِي المُهَاجِر الجزائري[٩].

ومِمَّن جَمَعَتْهُ بِهِم تِلك الحِلَق العَامِرَة: الشَّيخ البشير الإبراهيمي الجزائري[١٠].

خروجُه مِن المدينة خلال ثورة الشريف حُسَين:

خرَجَ أو أُخرِجَ حَسُّونَة مِن المدينة إخراجًا سياسيًّا، مع مَن أُخرِجَ مِن أَعيان المدينة عقب ثورة الشَّريف الحسين.

استقرَّ في ولاية «أدرنه» بـ«الروم للي»، فمكث هنالك مع بعض أهل المدينة؛ مِن المهاجرين اللِّيبِيِّين وغيرِهِم.

ثُمَّ رجعَ إلى المدينة المُنَوَّرَة بَعدَ زمنٍ[١١]!

أَمَّا الأنصاري فيَقول: «هاجر مع مَن هاجر مِن المدينة إلى الأناضول في أيَّام الحرب العالميَّة الأولى»[١٢].

في العهد الهاشمي:

يقول الأنصاري: «عادَ إلى مكَّةَ بعدَها، ومكثَ بها مُدَّةَ الملك حسين بن علي»[١٣].

إقَامَتُه بِجُدَّة:

يقول الأنصاري: «ثُمَّ استوطَنَ جُدَّةَ بعد

٧- انظر: «ليبيُّون في الجزيرة العربيَّة»، (ص١٨٨).

٨- تاريخ مدينة جُدَّة لِعبد القدوس الأنصاري، (ص٢٨٤).

٩- ذكر المترجِمُ الشَّيخَ حمدان فِي أصدقاءِ حسُّونَة، وَالحقيقةُ أَنَّهُ مِن طبقة مشايخِهِ لا أصدقائِهِ. انظر: «ليبيُّون في الجزيرة العربيَّة»، (ص١٩١).

١٠- انظر: «ليبيُّون في الجزيرة العربيَّة»، (ص١٩١).

١١- انظر: «ليبيُّون في الجزيرة العربيَّة»، (ص١٨٩). وسيأتي النَّقلُ عن الأنصاري أَنَّهُ رجع إلى مكة.

١٢- تاريخ مدينة جُدَّة لِعبد القدوس الأنصاري، (ص٢٨٤).

١٣- تاريخ مدينة جُدَّة لِعبد القدوس الأنصاري، (ص٢٨٤).

معركة الطَّائِف حتَّى الآن – ١٣٨٣هـ»اهـ[١٤]. أي: مع بدايات الحُكم السُّعُودي.

في العهد السُّعُودي:

وفي عهد الملك عبد العزيز آل سعود كان حَسُّونة محَلَّ تقديرٍ وتبجيلٍ، وكان خالد القرقني وبشير السعداوي اللِّيبِيَّين – من مُستَشَارِي المِلك – مِن أصدقائِهِ[١٥].

تَنَقُّلاتُه:

قَضَى حَسُّونَة حياتَهُ في التِّجوال[١٦]، وتَنَقَّلَ في الجزيرة العربيَّة بين بُلدانها وجِبالها ووِهَادِهَا[١٧]، وتَنَقَّلَ فِيهَا على ظَهْرِ حِمَار، وفي إحدى المَرَّات كادَ أَن يَقتُلَهُ العَطَش عِندَما خرجَ مِن الطَّائف في رِحلةٍ، وضَلَّ الطَّريق ولم يُعثَر عليهِ إلَّا بعد ثلاثةِ أَيَّام وهُو غائبٌ عن الوَعي مِن العَطَش[١٨].

وزار أكثر البلدان العربيَّة[١٩]؛ زارَ بلدان الخليج والعراق وتركيا، وبلاد الشام ولبنان ومصر، وبلغَ إلى مدائن صالحٍ في أيَّام شبابِهِ[٢٠].

شَوْقُه إلى وطنِه ليبيا، ومَوَاقِفُ في الوطَنِيَّة:

وعندما اشتاقَ لِرُؤيَة بَلَدِهِ «لِيبيَا» رَكِبَ بَاخِرَةَ الحُجَّاج اللِّيبِيِّين، ووَصَلَ معهم إلى ميناء «طرابلس»، وأَلقَى نَظرَةً على شاطئها الجميل ومبانيها البيضاء الزَّاهية، ورفض النُّزول إلى البَرِّ؛ حتَّى لا يَرى المُستعمِر الإيطالي يَستَبِيح مَرَابع صِباه ومَرَاتِع أُنْسِهِ. ووَاصَلَ رِحلتَهُ إلى مرسيليا والجزائر.

واشتاق إلى الوطن مَرَّةً أُخرى، وحاول زيارة «لِيبيَا» بعد الحرب العالميَّة الثَّانيَة، وتَوَسَّط له السيد يوسف ياسين –أحد مُستَشَاري الملك عبد العزيز– لدى

١٤– تاريخ مدينة جُدَّة لِعبد القدوس الأنصاري، (ص٢٨٤).

١٥– انظر: «لِيبيُّون في الجزيرة العربيَّة»، (ص١٨٩).

١٦– انظر: المصدر السابق، (ص١٩٢).

١٧– انظر: «المصدر السابق، (ص١٩٠).

١٨– انظر: المصدر السابق، (ص١٨٩).

١٩– انظر: المصدر السابق، (ص١٩٠).

٢٠– انظر: المصدر السابق، (ص١٩٢).

الإِنكليز؛ الَّذين سمحوا لـه بالزِّيـارة بعـد مكاتبـات ومراسـلات، انتقـل بعـدها إلى مصر؛ حيثُ استقبله الأستاذ خير الـدِّين الـزِّركلي؛ الَّـذي أخـبرَه بـأنَّ الإنكليـز سـمحوا لـه بزيـارة طـرابلس، فـرفض حَسُّونَة هذا العَرض، مُحتجًّا عـلى أَنَّـهُ لَـن يَـدخُلَ بَلَـدَهُ بِـأَمرِ الإنكليـز، وعـادَ إلى السُّعوديَّة.

ولم تتيسَّر لَهُ زيارةُ بلدِهِ إلَّا في سنة ١٩٦٨م، عندما زار تونس في رِحلةٍ عِلَاجيَّة، ثُمَّ في سنة ١٩٧٠م[٢١].

حَيَاتُهُ البَسِيطَة:

لم تكن حياتُهُ في الحجاز مُيَسَّرَةً بل قَاسَى الضَّنك والتَّعب، فأملاكُهُ وأَمْلَاكُ عائلتِهِ في طرابلس الغرب قد صادرهَا المُستعمِر الإيطالي[٢٢].

وقد حدَثَ أَن كَاتَبَ حَسُّونَة مِن الحجاز ابنَ أُختِهِ في طرابلس الغرب؛ يَطلبُ عَونًا مَادِّيًّا، فأرسل إليهِ ما جَمَعَ، فأخذَ يُنفِقُ مِنهُ بِحِسَابٍ[٢٣].

لم يتزوَّج حَسُّونَة طِيلَةَ حَيَاتِهِ القَلِقَة والمُتَنَقِّلَة، وبِذلك فَقَدَ نِعمةَ الاِستقرار والرِّعاية في آخر أَيَّامِهِ، حَيثُ لا وَلَدَ ولا زوجة تَرعَى شَيخُوخَتَهُ[٢٤].

ولَمَّا سَأَلَهُ الأُستاذ أبو مدين عن سَبَبِ عُزُوفِهِ عَن الزَّواج رَدَّ عَلَيهِ بِقَولِهِ:

«عِشْتُ أَيَّامَ شَبَابِي مُشَرَّدًا غَيرَ مُستقِرٍّ، ومَا أَرَدتُّ أَن أَجْنِيَ على امرأةٍ أَتَزَوَّجُها، ثُمَّ تُلَاقِي مِن العَنَاءِ مَا أُلَاقِي، فَمَا ذَنْبُها؟»اهـ[٢٥].

وَقال الشَّيخ محمَّد المنصوري الغسيري الجزائري في مقالاته المُعنونة بِـ: «عُدتُ مِن الشَّرق: في البلاد العربيَّة السُّعُوديَّة»، الجزء (١٣):

«... عُدنا إلى نُزُلِنَا عند البَسْطِي، وكأَنَّهُ أُخِذَت نِسْبَتُهُ لَا مِن بَلَدِهِ، ولَكِن مِن البَسَاطَة والتَّبَسُّط في كُلِّ شيءٍ، ...... وهُو فقيرٌ لَا يَملِك فَلْسًا، ولَا نَدْرِي كيف

٢١- انظر: المصدر السابق، (ص١٩٠).

٢٢- انظر: المصدر السابق، (ص١٨٩ وَ١٩١).

٢٣- انظر: المصدر السابق، (ص١٩١).

٢٤- انظر: المصدر السابق، (ص ١٨٩-١٩٠).

٢٥- انظر: المصدر السابق، (ص١٩٢).

يَعِيشُ؟ ولَكِنَّهُ مِضْيَافٌ مِتْلَافٌ غَيْرُ مِكْسَابٍ، طَبْعًا ومَعَ ذلك لَا يَخْلُو مَنْزِلُهُ مِن ضُيُوفٍ يَطْبُخُ لَهُم هُوَ بنَفْسِهِ؛ لأَنَّهُ السَّاكِنُ الوَحِيدُ بِالمَنزِل» اهـ[٢٦].

أخلاقُهُ وخِصَالُه:

قال الأستاذ أبو مدين: «كان الشَّيخ حَسُّونَة نَموذجًا للصَّداقة، والحُبِّ والوَفَاء والعَون والإيثَار، وصَفَاء النَّفس، والسَّعي في الخَير، وخِدمة النَّاس مِمَّن يَعرِف ومِمَّن لا يَعرف، وكان مُجَاب الرَّجَاء، كما كان كَبِيرَ الأَمَل في رَبِّهِ، لَا تُفزِعُهُ همومُ الحياة ولا يَأبَهُ لَها، كان قَوِيَّ الإرادة، لَا يَخَاف المَوت، وطَالَ بِهِ مَرَضُهُ، فَكَان كُلَّ يومٍ يَزداد صبرًا، وكان إحساسُهُ الدَّاخلي في تَعبِيرِهِ بأَنَّهُ أَثْقَلَ على أصدقائِهِ وحَمَّلَهُم الكثير، وكانوا سُعَدَاء بِهَذِهِ الأَثْقَال، ولكِن دَوَامُهُ مِن المُحَال»اهـ[٢٧].

بَذْلُهُ لِمَكتبَتِه:

قال الشَّيخ عبد الفتاح أبو مدين: «**كانت مكتبة الشيخ حَسُّونَة مَرجعًا لِبعض طلبة العلم مِمَّن يَعرف، يأتون إليها للمطالعة والنَّقل عنها ومنها، ورُبَّما أُتِيح لِبَعضهم أَن يَستَعِير كتابًا أيامًا، ورُبَّما رَدَّهُ ورُبَّما لم يَرُدَّه، وهذا تعاملٌ لا يُعجِبُ الشَّيخَ وهُو مُكرَهٌ أَمامَ مَن يَعرف**»[٢٨].

وفي أواخر أَيَّامِهِ أوقَفَ مَكتبَتَهُ العامرة على رباط عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢٩]!

قلتُ: هذا لَمَّا كان مُقيمًا في المدينة في العهد العثماني كما ذكره الأنصاري؛ قال: «أقام في المدينةِ سنتَين، وأَسَّسَ بها مكتبةً أوقفها بِرباط سيِّدنا عثمان بن عفَّان» اهـ[٣٠].

ويقول الشَّيخ محمَّد المنصوري الغسيري الجزائري في مقالاته المَعنونة بِـ: «عُدتُ مِن الشَّرق: في البلاد العربيَّة السُّعُوديَّة»، الجزء (١٣) عَن مكتبة البَسْطِي التي

٢٦- انظر: «البصائر»، السلسلة الثانية، العدد (٢٦٦)، ٦ شعبان ١٣٧٣هـ- ٩ أفريل ١٩٥٤م، (ص٧).

٢٧- انظر: «لِيبيُّون في الجزيرة العربيَّة»، (ص١٩٢).

٢٨- انظر: المصدر السابق، (ص١٨٩).

٢٩- انظر: المصدر السابق، (ص١٩٢).

٣٠- تاريخ مدينة جُدَّة لِعبد القدوس الأنصاري، (ص٢٨٤).

أَسَّسَهَا بِجُدَّة، حينما زَارَهُ في سنة ١٣٧٣هـ، ١٩٥٤م:

«... عُنِيَ بالكُتُب؛ جَمَعَهَا في حياتِهِ ثُمَّ جَلَّدَهَا ووَقَفَهَا هِيَ ودَارَهُ الَّتِي يَسْكُنُهَا على مَدرسةٍ بجُدَّة، وهُو فقيرٌ لَا يَملِك فَلْسًا...» اهـ[٣١].

ويقول الأنصاري –سنة ١٣٨٣هـ –: «أَوْقف مكتبَتَهُ الحَافِلَة على مدرسَة الفلاح بِجُدَّة مع عِماراتِها الثلاث بِجُدَّة»[٣٢]. وقد تَكَلَّم الأَنصاري عن هذه المكتبة في «تاريخ مدينة جُدَّة»، (فصل: المكتبات العلميَّة الخاصَّة) (ص٤١٧).

وفاتُه:

– تُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ في يوم ١٧ رمضان سنة ١٤٠١هـ، عن عمرٍ نَاهَزَ المِئَةَ عامٍ وعَام[٣٣].

٣١– انظر: «البصائر»، السلسلة الثانية، العدد (٢٦٦)، ٦ شعبان ١٣٧٣هـ– ٩ أفريل ١٩٥٤م، (ص٧).

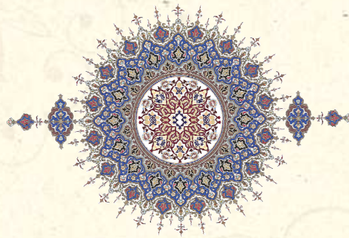
٣٢– تاريخ مدينة جُدَّة لِعبد القدوس الأنصاري، (ص٢٨٤).

٣٣– انظر: «ليبيُّون في الجزيرة العربيَّة»،

وَاجتَمَعَ الصِّدِّيقَان: البشير الإبراهيمي وحَسُّونَة البَسْطِي

* قال الشَّيخ محمَّد المنصوري الغسيري في مقالاتِهِ المُعَنونة بِـ: «**عُدْتُ مِن الشَّرق: في البلاد العربيَّة السُّعُوديَّة**»، الجزء (١٣)، قال عن مُرَافَقَتِهِ للشَّيخ الرَّئيس مُحمَّد البشير الإبراهيمي أثناءَ إقامتِهِ بالحِجَاز:

«... وفي جُدَّة نزلنا ضيوفًا مرَّاتٍ عند الشَّيخ حسُّونة البَسْطِي الطَّرَابُلْسِي؛ رفيق الأستاذ الرَّئيس وصديقه في سنوات هِجرَتِهِ إلى المدينة» اهـ[٣٤].



(ص١٩٢).

٣٤– انظر: «البصائر»، السلسلة الثانية، العدد (٢٦٦)، ٦ شعبان ١٣٧٣هـ– ٩ أفريل ١٩٥٤م، (ص٧).

* قَصَائِدُ وأَشْعَار:

مُسَاجَلات مُحَمَّد العِيد آل خليفة:

* كتب الأُستاذ محمَّد الطَّاهر فُضَلَاء رَحِمَهُ اللهُ تحت فصل (مُساجلة شِعريَّة) مِن مقاله «محمَّد العيد: شاعر النَّهضة الوطنيَّة»: «ففي منزل الشَّاعر بمدينة «بسكرة»، وفي أواخر السَّبعينيَّات (١٩٧٨) كتبتُ عنه هذه المساجلة التَّالية وهي ما تزالُ عندي في ورقتها على الوجهين، قال:

كُنَّا في مجلسنا في «جْنينَة البَايْ» هُنا بمدينة بسكرة، ومعنا العلَّامة الدَّاعية الشَّيخ الطَّيِّب العُقبي، فمَرَّ بنا موكبُ (شيخ البلديَّة) وهُو مِن المعمِّرين الفرنسيِّين الأثرياء، ومعه زَوجُهُ وأَبناؤُه، وهُم يَرفلون في نِعَم الرَّفاهية والبَذَخ...

فقال لي الشَّيخ الطَّيِّب العُقبي: أَجِزْ يَا محمَّد العيد! فقلتُ: هات، فقال:

ذَهَبُوا بِلَذَّاتِ الحَيَاةِ جَمِيعِهَا

وَالمُسْلِمُونَ بِكُلِّ خِزْيٍ بَاءُوا

جَمَعُوا المَحَاسِنَ وَالفَضَائِلَ كُلَّهَا

وَتَحَكَّمُوا فِينَا كَمَا قَدْ شَاءُوا

فقلتُ للشَّيخ: هذان البَيتان هُما الصَّالحان للإجازة، فهل تَسمحُ أن أضع لهما مقدِّمتهما؟ فقال: نعم، وكرامة!

فقلتُ على الفَور:

وَيْلَاهُ، عَمَّ عُيُونَنَا الإِغْضَاءُ

هُبُّوا فَقَدْ فَتَكَتْ بِنَا الأَرْزَاءُ

يَا مُسْلِمِي أَرْضِ الجَزَائِرِ مَالَكُمْ؟

لَا نَشْرَةٌ تَهْدِي وَلَا آرَاءُ

آنَ الأَوَانُ فَثَابِرُوا نَحْوَ العُلَا

أَنْتُمْ لِإِدْرَاكِ العُلَا أَكْفَاءُ

أَيَسُرُّكُمْ أَنَّ الفِرَنْجَ أَعِزَّةٌ

وَالمُسْلِمِينَ أَذِلَّةٌ جُبَنَاءُ؟

أَيَسُرُّكُمْ أَنَّ الفِرَنْجَ بِأَرْضِنَا

أَمْسَوْا هُمُ الحُكَّامُ وَالأُمَرَاءُ؟

ثُمَّ يأتي البَيتان فيُجيزان القِطعة هكذا:

ذَهَبُوا بِلَذَّاتِ الحَيَاةِ جَمِيعِهَا

وَالمُسْلِمُونَ بِكُلِّ خِزْيٍ بَاءُوا

جَمَعُوا المَحَاسِنَ وَالفَضَائِلَ كُلَّهَا

وَتَحَكَّمُوا فِينَا كَمَا قَدْ شَاءُوا

وقد روى الشَّاعر هذه القِصَّة الأدبيَّة الَّتِي وقعت في السَّنوات الأُولى مِن العشريَّة الثَّانية مِن هذا القرن الَّذي نحنُ في آخره،

وقد طَوَت مِن الأيَّام والأعوام أكثر مِن نصفِ قرن، وكأنَّهُ يَصِفُ حادِثًا أدبيًّا ووطنيًّا وقعَ بالأمسِ الدَّابر، ممَّا يدلُّ على صفاءِ ذِهنه وقُوَّة ذاكرته وحافظته... »اهـ.

[جريدة «البصائر»، السلسلة الثالثة، العدد (١٦)، ٢٨ جمادى الأولى ١٤١٣هـ - ٢٣ نوفمبر ١٩٩٢م، (ص١٢-١٣)].

* قال محمَّد السَّعيد الزاهري في مقاله: «**وَفْدُ الشُّعَرَاء يَزُور طُولْقَة، فَرْفَار، البُرْج**»[«البرق»، عدد، ٢٣ شوال ١٣٤٥هـ، ٢٥ أفريل ١٩٢٧م، (ص١)]:

«في اليوم التاسع مِن شهر أفريل ١٩٢٧ على السَّاعة الثَّالثة مساءً رَكِبْنَا مِن «بسكرة» سيَّارةَ الأُستاذ الفَذِّ الشَّاعر المُبدِع والكاتب الكبير الشَّيخ محمَّد الأمين العمودي، وكُنَّا أربعةً: الأستاذ هذا العمودي، والزَّعِيم السَّلَفِي الدَّاعِي إلى الله وحده الأستاذ الكبير الشَّيخ الطَّيِّب العُقْبِي، وشاعر الشَّباب صاحب الرُّوح النَّظِيفة الشَّاب السَّيِّد مُحمَّد العيد حَمَّ علي، وكاتبُ هذه الأسطر، وسائق السَّيَّارة، وكان هذا الوفدُ الأَدَبيُّ تحت إشراف الأستاذ العمودي... وصلنا إلى «طُولْقَة»... ثُمَّ مشَينا إلى «فَرْفار»... فبِتْنَا هنالك ليلةً ساهرةً حتَّى مطلع الفجر... قيل لنا: إنَّ القَوم يَذبَحون لِكُلِّ عَيْنٍ تَنْبُعُ «عَتْرُوسْ» مِن المَعْزِ، بِزَعمِ أَنَّ العَينَ لَا تَنبُعُ إلَّا إذا ذُبِحَ لَهَا، فقُلتُ في ذلك:

لَا تَنْبُعُ العَيْنُ فِي الزِّيبَانِ جَارِيَةً
إِلَّا إِذَا ذَبَحُوا لِلعَيْنِ عَتْرُوسَا

فأَجَازَهُ شاعرُ الشَّباب على البَدِيهةِ بِقَولِهِ:

مَاذَا جَنَى وَهْوَ بِهِمْ غَيْرُ مُقْتَرِفٍ
ذَنْبًا فَحَكَّمْتُمُو فِي حَلْقِهِ المُوسَى

وأَجازَهُ أيضًا كُلٌّ مِن العمودي والعُقْبِي... »اهـ.

* يَقول مُحَرِّرُ جريدة «الوزير» التُّونسيَّة:

«مساءَ يوم الخميس ٢١ نوفمبر [١٩٣٥م] المُنصَرِم تَوَاعَدَ حضرة الأديب العبقري **الشَّيخ حمزة بُكُوشَة** مع

صديقه الودود حضرة الشّاعر الكبير **الشَّيخ محمَّد العِيد** على المُلاقاة ضُحَى الغد على السَّاعة العاشرة بِمَقهى «القَلاَتِي».

ولكن كان يوم الموعد مُمْطِرًا فتَأَخَّرَ الأستاذ محمَّد العِيد عن الموعد المضروب إلى أن يَئِسَ مِن قُدُومِهِ صديقُهُ الأستاذ حمزة بُكُوشَة، فمَسَكَ القلم وشرع في نظمِ أبياتِ مُعاتَبَةٍ لِيُرسِلَها إليه، فكتَبَ ما يأتي:

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الخُلْفَ شِيمَتُكُمْ
حَتَّى يُؤَخِّرَكُمْ عَنْ وَعْدِكُمْ مَطَرُ
إِنْ لَمْ تَجِيئُوا بِأَعْذَارٍ مُسَلَّمَةٍ
أَقُلْ – بِرَغْمِ الإِخَا –: هَلْ مَسَّكُمْ بَطَرُ؟

وما كادَ الشَّاعرُ يُتِمُّ بَيْتَهُ الثَّاني، حتَّى أقبَلَ الأُستاذ محمَّد العِيد، ولمَّا اطَّلَعَ على البيتين كتَبَ تحتها ما يَلِي ارتِجالًا:

مَا مَسَّنِي بَطَرٌ بَلْ مَسَّنِي مَطَرُ
لَكِنَّنِي رَغْمَ هَذَا جِئْتُ أَعْتَذِرُ
هَيْهَاتَ أَتْرُكُ أَحْبَابِي وَأَهْجُرُهُمْ
لَا زُهْدَ لِي فِي أَحْبَابِي وَإِنْ هَجَرُوا

فكانت هذه الواقعة اللَّطيفة سَبَبًا طَيِّبًا في هذه المُساجَلَة الشِّعريَّة الجميلة»

[«البصائر»، السلسلة الأولى، العدد ٢، (ص٨)، نقلًا عن جريدة «الوزير»، تونس، تحت عنوان: «**لطيفةٌ أَدبيَّةٌ بين شَاعِرَين**»]

* ذكر الأستاذ الحسَن فضلاء [في «مِن أعلام الإصلاح»، (٢/ ٦٣)] في ترجمة الأستاذ حمزة بُكُوشَة؛ الَّذي كان لَهُ مُستودَعٌ لِلتَّمر في عاصمة الجزائر: «أَنَّ أَحدًا دخلَ دُكَّانَهُ فَامْتَدَّت يَدُهُ إلى كِيسٍ مِن التَّمر، فَأَخَذَ مِنهُ ثَمرةً فَأَكَلَها، تَفَاجأَ بِقولِهِ:

يَا آكِلَ التَّمْرِ إِنَّ التَّمْرَ مَمْنُوعُ

وكان الشَّيخ محمَّد العيد جالسًا يَنظُرُ فأَكْمَلَ البيتَ قائلًا:

إِلَّا عَلَى رَجُلٍ قَدْ مَسَّهُ الجُوعُ».

* قال الشَّيخ أحمد بن سحنون في «**خواطر وآراء**»:

«أَذكُرُ حديثًا جرى ذاتَ مَرَّةٍ بَينِي وبين صديقي الأستاذ مُحمَّد العيد – ونَحنُ على متن سيارةٍ تَشُقُّ بنا الطريق بين

«الجزائر» و«البليدة» عند عودتنا مِن حفلة الزَّفَاف الَّتي أُقِيمت لِزَمِيلنا الشَّيخ فَرْحَات الدَّرَّاجِي، واللَّيلُ قد طَوَى تحت أجنحتِهِ السَّوداء كُلَّ صَامِتٍ ونَاطِقٍ... فهَمَسْتُ في أُذُنِ صاحِبِي الَّذي كان حِيَالَ هذا المَنظر السِّحريِّ الجميل في تَأَمُّلِ الفَيْلَسُوف ونَشْوَةِ الشَّاعر:

وَيْحَ الجَزَائِرَ مَالَهَا؟

وأَرَدتُّ بذلك أن أعرِفَ رَأيَهُ في القضيَّة الجزائريَّة الَّتي أصبحَت أعْقَدَ مِن ذَنَبِ الضَّبِّ، وغدَت حديثَ المجالس وشُغْلَ الألسنة، فَاسْتَدَارَ إليَّ بوَجهِهِ الَّذي قَرأتُ في تَقَاسِيمِهِ إِشعاعَ الوَحْيِ الشِّعرِيِّ، وسِيَّمَا الاِعتداد بِالنَّفس، وأَجَابَنِي على البَدِيهَةِ كعَادَتِهِ:

الخُلْفُ ضَعْضَعَ حَالَهَا!

[«البصائر»، السلسلة الأولى، عدد (١٦٠)، (ص٨)، الجمعة ١٦ صفر ١٣٥٨هـ= ٧ أفريل ١٩٣٩م]

* كتب ابن باديس في مَجَلَّتِهِ «الشِّهاب» [م١٤، ج٣، ربيع الثاني ١٣٥٧هـ- جوان ١٩٣٨م، (ص١١٤)] تحت العنوان الآتي: «مُسَاجَلَةٌ أَدَبِيَّةٌ»: «اجتمع الأساتذة: بدوي جلول، أحمد سحنون، محمَّد العيد، في أحد المُنتزَهات الجميلة بالعاصمة «الجزائر»، فمَرَّ أَمَامَهُم مَا حَرَّكَ شَاعِرِيَّتَهُم بِالأبيات التَّالية، وكأَنَّهُم خَاطَبُوا في ذلك الشَّخص المَرئِيِّ شَخصًا آخرَ غَيرَ مرئيٍّ...

البدوي:

وَفَتَاةٍ مَرَّتْ بِنَا ذَاتَ صَبَاحٍ
تَتَثَنَّى كَأَنَّهَا غُصْنُ بَانِ

سحنون:

ثُمَّ وَلَّتْ وَمَا رَثَتْ لِقُلُوبٍ
رَشَقَتْهَا بِلَحْظِهَا الفَتَّانِ

العِيد:

قَرَّبَتْ وَصْلَهَا القُلُوبُ وَلَكِنْ
حَالَ مِنْ دُونِهَا اخْتِلَافُ اللِّسَانِ

البدوي:

رَبَّـةَ الـدَّلِّ دارِكِـي أَنْفُسًـا حَـيْـ

رَى تُعَـانِي مِـنَ الضَّـنَى مَـا تُعَـانِي

لَفْتَـةً تُرْجِـعُ الحَيَـاةَ إِلَـى القَلْـ

ـبِ وَعَطْفًـا يُعِيـدُ مَيْـتَ الأَمَـانِي

سحنون:

وَارْتِشَـافًا مِـنْ خَمْـرِ رِيقِـكِ يُطْفِـي

مَـا بِنَـا مِـنْ لَـوَاعِجِ الأَشْـجَانِ

وَابْتِسَـامًا يُنِيـرُ ظُلْمَـةَ نَفْـسٍ

عُـذِّبَتْ بِالصُّـدُودِ والهِجْـرَانِ

العِيد:

أَحْسِـنِي فَالحِسَـانُ فِـي شِـرْعَةِ الآ

دَابِ أَوْلَـى الأَنَـامِ بِالإِحْسَـانِ

مَلَـكَ الحُسْـنُ أَمْرَنَـا فَأَرَانَـا

كَيْـفَ يُبْتَلَـى الإِنْسَـانُ بِالإِنْسَـانِ»اهـ





* الصُّورَة: «بسكرة» القديمة

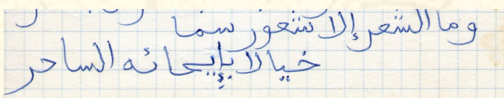
* خطوط الشَّيخ محمَّد العيد مِن خلال رسائلِهِ رَحِمَهُ اللهُ:


بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
باتنة ٧ سبتمبر ١٩٦٥م

محمد العيد آل خليفه
باتنة (الجزائر)
١١ جمادى الأولى ١٣٨٥هـ
الموافق ٧ سبتمبر ١٩٦٥م

الجزائر الثلاثاء ٢٣ رمضان المعظم ١٣٥٢
محمد العيد محمد علي

الإهداء
إلى شعب الجزائر البطل الثائر


وما الشعر إلا شعور سما
خيالا بإيحائه الساحر

* تَارِيخٌ وَمُدُنٌ:

وَهْرَان الإِسْلَامِيَّة

الفَتْحُ الأَوَّل

(١١١٩هـ=١٧٠٨م)

إذا تحدَّثنا عن الفتح الأوَّل لِوهران، فإنَّنا نَتَحدَّثُ عن بطل هذا الفتح القائد الشُّجاع: **مصطفى أبو الشلاغم**[٣٥].

هُوَ مصطفى بن يوسف بن محمَّد بن إسحاق المَسْرَاتِي (نِسبة إلى مَسْرَاتَة مِن أهل القَلْعَة؛ قَلْعَة بني راشد بِالْمُعَسْكَر)؛ باي الغَرب أو باي الإيالة الغَرْبيَّة [مَازُونَة وتِلِمْسَان]، الَّذي وَلَّتْهُ الدَّولة التُّركيَّة تلك الجِهَة[٣٦]، أعني: الجِهَة الغربيَّة، وجُعِلت قاعدتُها: مُعَسْكَر- لِتَوَسُّطِها بين مَازُونَة وتِلِمْسَان- ابتداءً مِن سنة (١٠٩٨هـ=١٦٨٦م).

غزَا وهران وأَمَدَّهُ دَايْ الجزائر محمَّد بَكْدَاشْ[٣٧] باشا[٣٨] بالجيوش العديدة [برًّا وبحرًا]، وجعلها لِنَظرِ وزيره حسَن أوزن ـ فكانَ قائد حملةِ فتح وهران ـ.

كانت الجيوش تَنزل في مرسى أَرْزِيوْ، ويأتون لِوهران مِن البَرِّ، ولم يُمكنهم حصارُها مِن جهة البحر، لحَيلولة مراكب كَفَرة الإسبان بينهم وبينها، ولِشِدَّةِ بُرج المَرْسَى. وما زالت جيوش المسلمين تحارب وهران وتواصل القتال ـ وقد نزلوا عليها في ١ ربيع الأول ١١١٩هـ[٣٩]ـ، حتَّى فَتَحُوها عُنْوَةً صبيحة يوم الجمعة ٢٦ مِن شَوَّال سنة ١١١٩هـ= ٢٠ جانفي ١٧٠٨م. **بعد أَنْ أَقَامَ كَفَرَةُ**

٣٥- وَبِاللِّسان التُّركي: **مصطفى فَايِق**. ومعناهُ: كَبيرُ السِّبَال، والسِّبَالُ جَمعُ سَبَلَة، وهِيَ: الشَّارِب. وذلك مما يَتَمادَحُ بِهِ النَّاسُ خُصُوصًا الأَتراك. انظر: **شرح أرجوزة الحلفاوي** للجامعي (ص١١٣)، مخطوط مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض.

٣٦- وَالباي: مَن يُوَلِّيهِ الباشا ـ باشا الجزائر ـ جِهةً مخصوصةً.

٣٧- هُو بِاللِّسان التُّركي، وتَفسيرُهُ بالعربي: الحجَرْ القَاسِي. انظر: **شرح أرجوزة الحلفاوي** للجامعي (ص٧٢)، مخطوط مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض.

٣٨- هو أبو عبد الله محمد خوجه بن علي، عُرِف بِـ: بكداش. انظر: **دليل الحيران** للزياني (ص٢٠٩).

٣٩- انظر: **الثغر الجماني** للراشدي (ص١٩٩).

الإسبان بِوَهران مُـدَّةَ مِئَتَـي سـنة وخمـس سِنِين (٢٠٥).

ونَقَل الباي بوشلاغم قاعدَةَ الإيالة إلى وهران، وسَكَنَهَا بأهلِهِ. وبقيَ بها إلى أن أَخرَجَهُ الإسبان منها ودخلوها مرَّةً ثانيةً سنةَ (١١٤٣هـ=١٧٣٣م)، بعد موت الباشا بكداش[٤٠]، **بعد أن أقام بها المسلمون ٢٤ سنةً.**

خرج الباي أبو الشلاغم إلى مستغانم وسَكَنَهَا وجَعَلَهَا قاعدَةَ مُلكِهِ، وَتُوفِّي بها سنة (١١٤٦هـ)[٤١].

* أُخِذَت وهران لِلمَرَّة الثَّانية، لكن بِلاَ كبير مَلْحَمَة ولا كثير قِتَال، ونَجَا مُسلِمُو وهران بِأَنفُسِهم، وعُوجِلُوا على أَمتعَتِهم فتَرَكُوا أَكثَرها.

ـ ترك الباي أبو الشلاغم الأبراج المُوَالِيَـة للبَرِّ والَّتي بناها النَّصارى مُـدَّة إقامتهم بِـوهران، تَرَكَها ولم يَهـدِمْهَا، ولَمَّا رجعَ النَّصارى لِغَزو وهـران «**كـان أَوَّلُ ضَرَرٍ حَصَل لِلمسلمين مِن تلك الأبراج**»[٤٢].

*** مِن مآثر الباي أبو الشلاغم:**

ـ إنَّ الباي مصطفى بوشلاغم سقط في ذلك اليوم[٤٣] عـن فَرَسِهِ لِشِدَّةِ تَحرِيضِهِ على الجِهاد وكثرةِ عَدْوِهِ[٤٤].

ـ بناؤه ـ سنة ١٧٠٨م ـ المسجد الذي على الحافَةِ الشَّرقية لِوَادِي وهران المعروف بوادي الرحي ووَادِي رأس العَين، بجوار برج الصبايحيَّة، خَصَّصَه الباي للتُّجَّار القادمين إلى المدينة مِن الأرياف والنواحي لقضاء مآربهم، ولذلك أطلق عليهِ اسم: مسجد البرَّانيَّة، ثُمَّ فيما بعد: مسجد بني عامر. ثُمَّ لَمَّا استردَّ كفرةُ الإسبان وهران قامُوا بِهدمِهِ سنة (١٧٣٢م)، وبَنَوا عليهِ بُرج قُورْدْ[٤٥].

٤٠- قُتِل وقُتِل معه وزيره حسن أوزن، سنة ١١٢٢هـ. انظر: **تاريخ الجزائر الثقافي** (١/ ١٥٤).

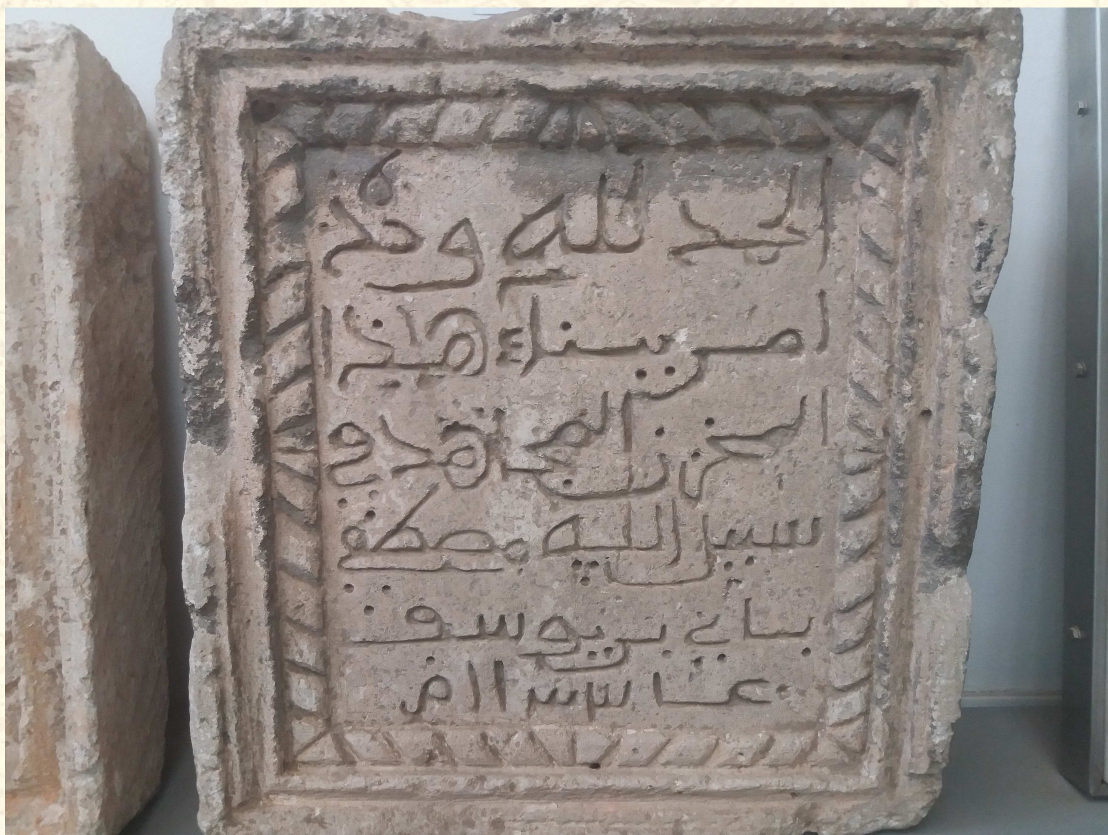
٤١- انظر: **طلوع سعد السُّعُود** للآغا بن عُوده المَزَارِي (١/ ٢٧٥-٢٧٨)، والقول **الأوسط** للشقراني الراشدي (ص٧٠-٧١).

٤٢- انظر: **طلوع سعد السُّعود** (١/ ٢٩٤).

٤٣- أي: اليوم الَّذِي غزا فِيهِ الإِسبانُ وهران.

٤٤- انظر: **الثغر الجماني** للراشدي (ص٣٧- مقدمة البوعبدلي).

٤٥- انظر: **المساجد العتيقة في الغرب الجزائري** للدكتور يحيى بوعزيز (ص ٤٠)، ومدينة **وهران عبر التاريخ** (ص٩٤) له أيضًا، وَ**تاريخ الجزائر الثقافي** (٥/ ١٠٢).



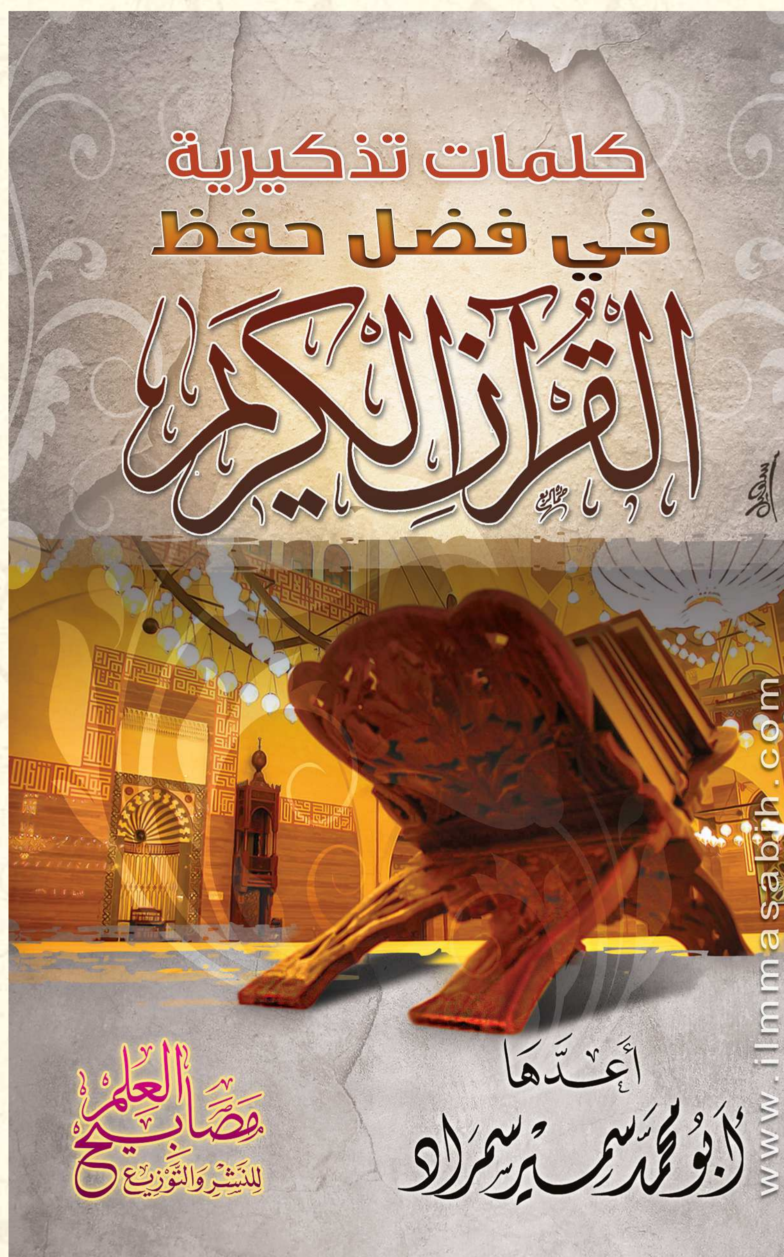
*** نقيشة كتابية تذكارية، تُؤَرِّخُ لِبِنَاء مَخزنٍ بِأَمرٍ مِن المجاهد مصطفى بَايْ بن يوسف، تَعود إلى سنة ١١٣٣ .**

مَحفوظة في مُتحف مدينة وهران.

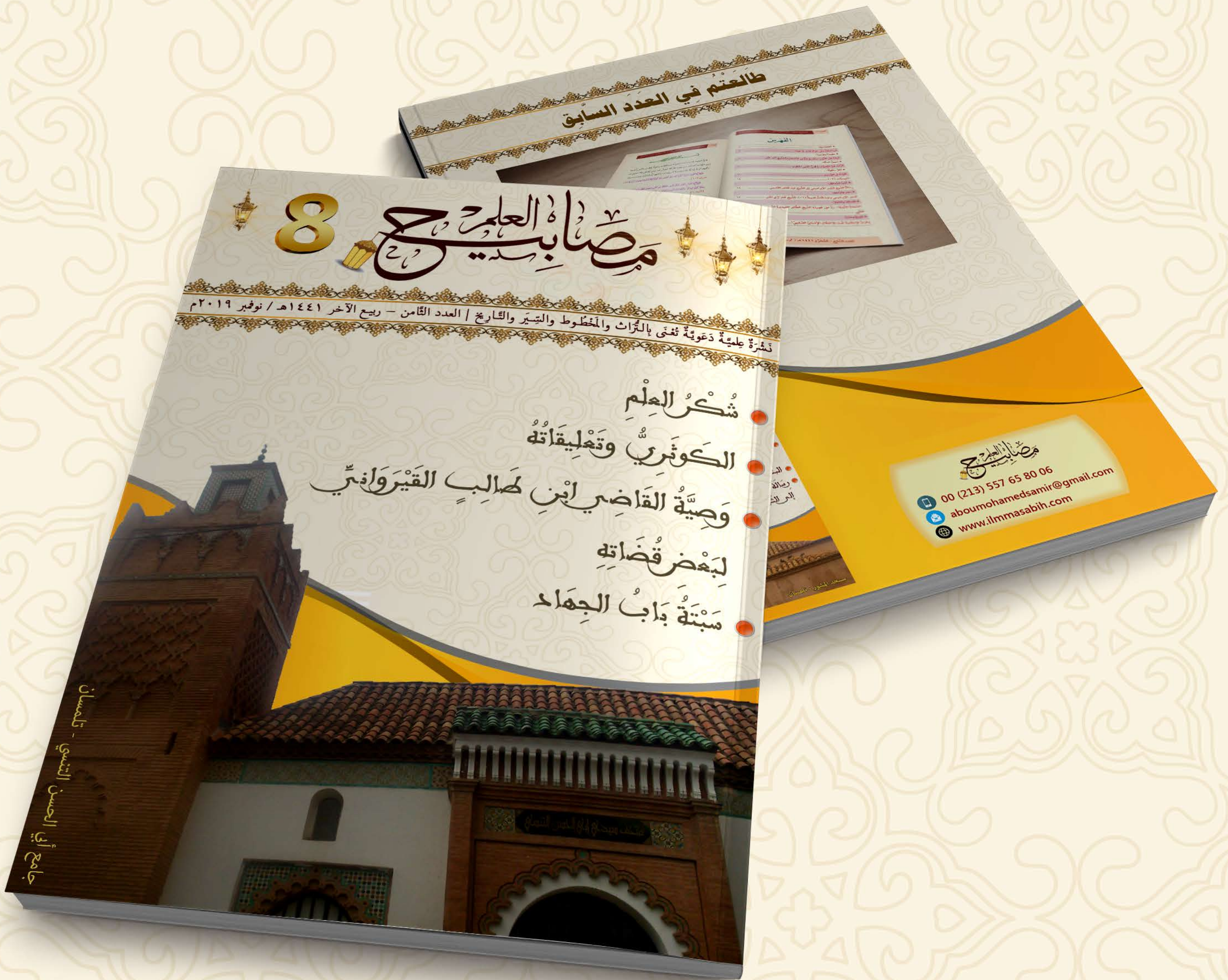
إصداراتٌ:



سلسلة الغيرة على الدين (٠٢)
أيتها المؤمنة
أين أنتِ من لباس التقوى ؟
أَعَدَّهَا
أبو محمد سمير سمراد
مصابيح العلم للنشر والتوزيع
www.ilmmasabih.com


كلمات تذكيرية
في فضل حفظ
القرآن الكريم
أعدّها
أبو محمد سمير سمراد
مصابيح العلم للنشر والتوزيع
www.ilmmasabih.com

طَالَعْتُم فِي العَدَد السَّابِق



مَصَابِيح العِلم

00 (213) 557 65 80 06

aboumohamedsamir@gmail.com

www.ilmmasabih.com